تزداد في هذه الاونة ، حدة الصراع الدائر على الساحة اللبنانية ، لا لتخلط الاوراق، وتهدم الحدود، وتغيب المسافات، بل لتلقي نورا ساطعا على حيثيات الصراع واتجاهاته السياسيه ، وتبرز الى العلن ، مواقع القوى المعبرة عن مصالحها الطبقية.

اهداف الحكم في لبنان والتطورات السياسية على ضوء الاشتباكات الاخيرة

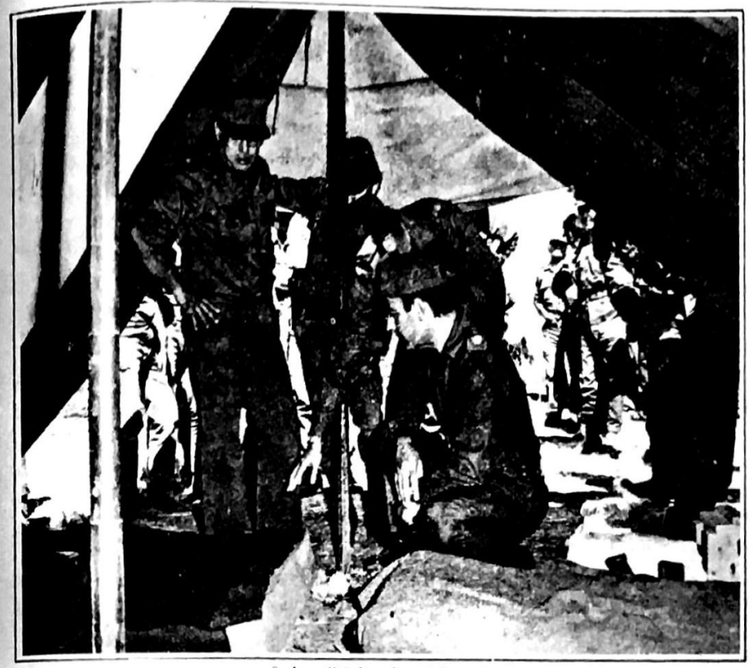

جنين الشرعية : بسط سيطرة البرجوازية

التبدلات الظاهريّة، لاتعني بالضرورة اختلافاً في المواقع الطبقية والاهـ

فسياسة النظام اللبناني ، تخدم بالضرورة ، مصالح البرجوازية السائدة، المرتبطة بمصالح الامبريالية العالمية ، وخاصة الامريكية ، في لبنان والمنطقة العربية .

ونظام سركيس ، الذي خرج مكلوما من تحت رماد الحرب الاهلية ، يفتقد ولا زال الى الدعائم الاساسية التي تبني النظام ، والمتمثلة ، باعادة احياء الاقتصاد، وتحريك وتنظيم الادارات والمؤسسات والمرافق العامة ، واعادة بناء الاجهزة العسكرية الثقل النوعي ، الذي يفرض على الجماهير تنفيذ القوانين وتكريس هيبة السلطة ، طبعا بعد سحب الاسلحة وضبط الامن ، وهذا دونه عقبة كاداء متمثلة بمعركة شمواء ، تخوضها القوى الرجعية وفي مقدمتها اسرائيل من اجل تصفية قوى الثورة على ارض لبنان ، حيث تواجهها معضلة هامة تقتضي توفير المساعدات المالية اللازمة ، لاحياء الاقتصاد واعادته الى سابق عهده .

وبناء على هذه المقدمة ، ننتقل لالقاء نظرة فاحصة مدققة في اوضاع الشرعية حاليا ، ومعرفة كل الوسائط التي تنقل عبرها سياستها الى الجماهير تلك السياسة الفارغة الهادفة بسط سيطرة البرجوازية على كل لبنان .

ان الاشتباكات الاخيرة ، الدائرة بين عصابات اليمين الفاشي ، والجيش السركيسي ، لم تكن الحالة الوحيدة الناشئة في الوضع . فقد شاهدنا لفترة خلت اشتباكات دارت ما بين الكتائب و « الاحرار » وبين جيش « التحرير » الزغرتاوي (جماعة فرنجية) حليف الامس ، وكذلك اشتباكات بين حزبي الكتائب و « الاحرار » نفسهما لدرجة قال فيها بشير الجميل ان الخسائر التي نتجت عن المعارك التي نشبت مؤخرا بين الحزبين الرئيسيين في عين الرمانة والاشرفية فاقت خسائر حرب السنتين ، ولا غرو في ان يقع تصادم ما بين الجيش السركيسي وعصابات اليمين الفاشي ، بعد ان حصل وفي مرات عديدة اشتراكهما سويا في معارك مضادة للردع والقوات المشتركة .

المقدمات السياسية

فما هي طبيعة الظروف السياسية التي شكلت مقدمات ومدلولات المعارك الاخيرة ؟ وما هي خلفيتها الطبقية والسياسية ؟. طبعا سياتي كل ذلك في سياق التدرج المتواصل لخطى القوى المضادة للثورة من اجل تحقيق اهدافها كاملة . ان طبيعة الظروف السياسية التي شكلت المقدمات الدائمة لتواصل الاشتباكات ومنها الاخيرة تراوح ضمن التصورات التالية :

اولا : الاهداف المرسومة من قبل التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي ، للقوى اليمينية المحلية ، وفي مقدمتها عصابات الجبهة اللبنانية ، وقوات الشرعية المتمثلة بالجيش ، والشرطة والدرك والشعبة الثانية ، هي نقطة وصول القوى المذكورة وبالعمل الدائب ، لانجازها ، وما الصراع الاخير، الا احد الانفاق الذي تنقل عبره غايات القوى الرجعية ومراميها .

ثانيا : حالة الانهيار التي اصابت الجبهة اللبنانية ، من جراء الاصطدامات الداخلية مما خلق جوا من الحذر دفعها باتجاه درء مخاطر التفسخ الدائم ، وايقاف التفكك ، من اجل التمفصل حول ضرورات المرحلة الرجعية ، مع التاكيد ان حالة الانهيار لن تتوقف الا بعد ايجاد حلول فعلية لاوضاع التدهور العامة .

ثالثا : مواقف الرجعية العربية العريضة المؤيدة للشرعية ، والتي تدعم سعيها المواظب على انتزاع ما تريد ، خاصة لجهة عودة النظام اللبناني الرجعي « المظفر » بالرغم من حالات التردد الاخيرة التي ظهرت ، نظرا لظروف الرجعية الداخلية والخارجية مما اقتضى تحريكا يساهم في خلق معادلات جديدة لاستفادة اليمين الرجعي .

رابعا : التحركات الامبريالية الجديدة خاصة الاوروبية ، والتي تزعم ان هناك مبادرة جديدة ، سوف تسهم في طرح حلول مقبولة للقضية الفلسطينية ، مما يعطي الشرعية حجة لممارسة ضغوطها على المقاومة ، لانتزاع تنازلات جديدة ، بالاعتماد على هذه التحركات المشبوهة .

خامسا : حالة الانحسار الجماهيري ، والتي تستغلها الدولة على اوسع نطاق ، مستفيدة من المناخ اليائس والمحبط ، وتردي العلاقة ما بين المسلحين الوطنيين والجماهير الفقيرة، وبالتالي تفاقم الظروف المعيشية والاقتصادية ، وعجز القوى الوطنية والمقاومة عن توفير المخارج اللازمة لازماتها الاقتصادية والامنية .

سادسا : تواصل الاعتداءات الاسرائيلية ، وكثافتها ، يعطي الشرعية ذريعة تستعملها في تشديد ضغوطها على المقاومة ، واستدراجها لتقديم تنازلات ، اقلها خطوات جديدة تسرع في انهاء الصراع اللبناني لمصلحة القوى المضادة للثورة .

سابعا : سعد حداد ودويلته المتصهينة ، التي تتمدد باستمرار ، على اساس مساعدة « اسرائيل » والشرعية، فهو يعتمد على عملية « القضم والهضم » لتوسيع كانتونه . وها هو يهدد مناطق جديدة بالابتلاع خاصة في القطاعات الثلاثة : الاوسط والشرقي والغربي ، وسوف يتقدم دائما ، كلما كانت عملية المضغ سهلة . ان وضع الجنوب يعتبر ورقة ضغط توظفها الدولة ليس في الاوضاع الحرجة وحسب انما على طول الخط .

ثامنا : ان الوضع الذاتي للحركة الوطنية والمقاومة ، والذي يعاني من ثغرات ومثالب ، عطلت سبل الافادة من نضج الظروف الموضوعية ، والنهوض الجماهيري ، ولم يقدم الحلول الجذرية لمعضلات الصراع ، وبالتالي النهج المتبع في التعامل مع سياسة النظام ، والمتمثل بتقبل الضغوطات ،

ـــداف السياسية

قد شجعت اليمين الفاشي على المضي قدما في تحقيق برنامجه الرجعي .

ان الظروف المذكورة ، شكلت الارضية التي ارتفعت عليها الاشتباكات الاخيرة ، والتي لم تكن مقطوعة الجذور او غيمة في سماء صافية ، بل هي امتداد لتطورات الصراع ، ونتاج طبيعي للعملية الهادفة الى سيطرة القوى الرجعية الفاشية على كل لبنان ، والتي تحاول ان تتفي حالات التمثر لتحافظ على صيرورة المخطط وتقدمه بشكل حثيث ومنسجم ما بين الجنوب والداخل .

حلقة جديدة في مخطط التصفية

بعد هذا السرد لمقدمات الاشتباكات الاخيرة نصل الى تحديد المدلولات السياسية ، لنهج السلطة واهداف العصابات الفاشية ، والتي تتناغم بايقاع موزون نحو الحلقة المفقودة في المخطط . وهذه الدلالات هي :

١ ـ ان تدفع الشرعية الى الامام مسالة تدعيم سلطانها ، وهي التي تشكل امتدادا عضويا ، للعجين الطبقي ، الذي تتكون منه الجبهة اللبنانية ، وما الحالات التي تحاول ابراز ان هناك خلافات مستعصية فيما بينهما ، الا حالات تهدف لخدمة المخطط وتعزيزه ، ومصيرها الفشل ، لان تماثل البنية الطبقية البرجوازية والوجهة السياسية الواحدة ، هي القاعدة التي تتم عليها مواجهة الاحداث . فالتقدم التدريجي لبروز الشرعية الاني، كغطاء سياسي للجبهة الفاشية ، سوف يساهم في تقدم المخطط المضاد ، من اجل تقريب ساعة الصفر لتحقيق الاهداف المناهضة لمهام التحرر الوطني والديمقراطي .

٢ ـ ان تقتنص القوى المضادة للثورة خطوة جديدة على صعيد انتشار الجيش في منطقتي المرفا والاسواق التجارية ، لنصب سور « صيني » يمتد من الحدث حتى المرفا ، ليفصل بين المنطقتين ، ويعمق الانقسام الحاصل على كل المستويات .

وسوف نراه (الجيش) قريبا مانعا اختراق مناطق العصابات الفاشية حتى تتفرغ بشكل شامل ، لمعركة اخضاع الشمال ، وتحقيق شعار الامن الذاتي ، ولن تكتفي الجهة اللبنانية ، بانزال الجيش في المرفا والاسواق ، بل ستحاول دفعه لاختراق مناطق الحركة الوطنية ، كمقدمة لمعركة التصفية .وقد قال كميل شمعون ان تهدئة الوضع في الاسواق التجارية والمرفا رهن « بنزول الجيش بقوة تتكون من العناصر النظيفة ... » (السفير ـ الخميس ١٩٧٩/٨/١٦) .

٣ ـ دفع الجيش لمزيد من التصادم مع الردع من اجل انتزاع تنازلات جديدة تخدم السياسة الرجعية ، عن طريق مراكمة المكتسبات اليمينية ، وعلى راسها ليس فقط خطة انتشار الجيش في المرفا والاسواق بل وادخاله الى المنطقة الغربية والجنوب . فالمعارك الاخيرة جاءت لتخدم عملية اخراج الردع تدريجيا من خلال ضمور دوره وتقليص مناطق وجوده ، مقدمة لاخراجه ، وما وسائل الضغط على سوريا الا نتاج طبيعي لما توفره الدولة من قدرة تمارسها على هذا النحو .

٤ ـ من اجل تنشيط القوى الرجعية في مناطق القوى الوطنية ، وقد لمسنا نشاطا ملحوظا ، في تصريحات النواب التي تشير الى دعم خطة الدولة في انزال الجيش ، فالمعارضة البرلمانية والتي تنتمي الى اوساط الراسمالية الاسلامية وكتلة نواب فرنجية والبقاع ، الخ .. تركز على الحل التدريجي من اجل مضغ التنازلات بشكل يتلاءم مع التصعيد لتعميم سيطرة الشرعية ضمن معطيات سياسة الجبهة « اللبنانية » ، فالبرلمان اللبناني يبقى جاهزا لاتخاذ القرارات اللازمة لخدمة السيطرة الرجعية ، وكما يقول بيار الجميل : « ... ان المجلس النيابي هو الملتقى الطبيعي لممثلي الشعب اللبناني بجميع احزابه وطوائفه وفئاته السياسية ، تتوافر فيه الامكانات والقدرات المطلوبة الى حد بعيد ، ودليلنا على ذلك هو ان المجلس النيابي ما التقى مرة الا ووفر الحل لمشكلة ، او حاول دون الوقوع في مشكلة دستورية او ديمقراطية » . (السفير ـ الاثنين ١٩٧٩/٨/١٣) . حتى ان الاسعد وسلام وفرنجية ورغم اتهامهم سركيس كما تتهمه الحركة الوطنية بانه يحمي سياسة الكتائب و « الاحرار » ويقدم لها المنشطات الدائمة من خلال تبادل الانجازات التي توظف في مجرى الصراع المشترك ، فهم على استعداد اكيد وفي المسائل الاساسية لان يقدموا التسهيلات كلها من اجل خدمة نهج الشرعية الرجعي ، هذا القاسم المشترك الذي تتقاطع عنده مصالح شرائح البرجوازية الكبيرة .

٥ ـ من اجل اعطاء الجيش صفة وطنية تساهم في تعزيز دوره ، والتعزيز بعدد من القوى الوطنية ذات القابلية المؤدية الى دعم خطة الدولة ، مما يسهل امامه الوصول الى مناطق الحركة الوطنية . ان خطة انتشار الجيش توفرها الاشتباكات وحملة الضغوط السياسية الدائمة .

٦ ـ دفع الدول العربية من اجل عقد مؤتمر قمة عربي يعطي الشرعية مقويات جديدة تساعدها في تنفيذ اهداف مرحلة جديدة في سياق المخطط الرجعي . فالاشتباكات توفر المواد الضاغطة التي تستند اليها الرجعية اللبنانية ، حيث تسعى بالحاح لعقد مؤتمر قمة يفتح لها افقا جديدا لتدعيم الشرعية عبر سن تشريعات جديدة تضيق الخناق على الوجود الوطني ، بشكل يفوق مقررات قمة بغداد ، وسوف تستغل الشرعية مشاركتها في قمة دول عدم الانحياز في هافانا للتشديد على هذا المطلب .

٧ ـ من اجل تضليل الجماهير ، واستنفاد طاقاتها الكفاحية ، توطئة لتكتيلها حول شعارات السلطة المزيفة ، وتمضي السلطة على هذا الطريق مستفيدة من الوضع الذاتي للقوى الوطنية ومن اخطائها المسلكية ، وعدم قدرتها على الخروج من دوامة المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .

٨ ـ اما بالنسبة للجبهة « اللبنانية » فسوف تمارس الضغط على الشرعية في سبيل دفع التقارب اكثر فاكثر من مواقفها ليتم الاندماج ، كلما اقترب موعد الانفجار العام ، وهي سوف تدفع باتجاه ان يقدم النظام على سحب شرعية تواجد الردع ، مقدمة لاعتباره مضادا لارادة الحكم ، وحالة شاذة تتعارض مع سيادة لبنان فوق اراضيه ، مما يتسنى لها العمل بكل قواها لاخراجه ، وكما قال الجميل مهاجما السوريين دون تسمية : « انها تتلطى تحت شعارات زائفة اقلها شعار الشرعية » . واتهمها بالاعتداء على مراكز الجيش ومراكز « القوات اللبنانية » (السفير ـ السبت ١٩٧٩/٨/١٨) . ومما قاله ايضا : « ان نزول الجيش الى المرفا كان بالاتفاق معنا ، وقد مهدنا نحن جميع السبل امام هذا النزول » نفس المصدر .

٩ ـ من اجل وقف حالة التدهور في اوضاع العصابات الفاشية الداخلية ، اذ ان هذا التفسخ الذاتي لن يتوقف بفعل كثير من العوامل ـ سنشير لها لاحقا ـ .

١٠ ـ من اجل توفير الامن الذاتي الداخلي بعد حشد اكبر قوة ممكنة لتطهير الشمال واخضاعه لسيطرة عصابات الكتائب والاحرار . ان الامن الذاتي يتم بمساعدة الجيش ، الذي يحل محل الميليشيات على خطوط التماس ، لتتفرغ في نقل قواها الى الداخل من اجل قمع خصومها واستعادة السيطرة على اهدن وبشري والبترون .

١١ ـ من اجل اعادة اللحمة ما بين الجماهير والجبهة ، والتي اصيبت بنكسة واضحة على اثر الاقتتال الذي يفاقم المشكلات عامة ، وعدم قدرة الجماهير على احتمال حالة التدهور المتزايدة في